التفسير التكاملي للسلوك الاجرامي

مفهوم النظرية التكاملية

كان العلماء سابقا يتحدثون عن السبب بصدد الظواهر ، لانهم كانوا يعزون الظاهرة الاجراميه الى سبب معين ، ام حديثا اصبح العلماء يتحدثون عن العوامل لان الظاهرة الاجرامية تعزي الى عدة عوامل وليس سبب واحد . لذلك :

١ـ لا يمكن تفسير الظاهرة الاجراميه في ضوء عوامل مناخية معينة لان هذه الظاهرة توجد في جميع الظروف المناخية .

٢ـ لايمكن تفسيرها في ضوء العوامل البيولوجية وحدها لان هناك مجرمين اسوياء من الناحية البيولوجية .

٣ـ لا يمكن تفسيرها في ضوء عوامل سيكولوجية لان هناك مجرمين اصحاء نفسيا . كما ان هناك نسبة كبيرة من مرضى النفس لم تقدم على ارتكاب السلوك الاجرامي .

٤ ـ لا يمكن ان نرجع ظاهرة الاجرام الى طبيعة الحي السكني وحده او الى الاسرة وحدها او الفقر او التخلف . طالما ان نسبة الاسوياء من ابناء الاحياء المتخلفة والاسر الفقيرة والمفككه ولدى المتخلفين تعليميا اعلى بكثير من نسب المنحرفين .

٥ـ لا يمكن التنبؤ بسلوك طفل نشأ في اسرة مفككه الابدرجة كبيرة من الاحتمال طالما ان تأثير الاسرة ليس سوى احد العوامل الكثيرة والمتعددة التي تشكل سلوك الانسان .

٦ـ هناك علاقة ما بين عوامل سايكولوجية وبايولوجية واجتماعية ومناخية وبين السلوك الاجرامي . لذا فكيف نسطيع تفسير انحراف احد الاخوين في اسرة واحدة وعدم انحراف اخر . على الرغم من خضوعهما لظروف اجتماعية وبيئية متشابهة .

هذا كله يؤكد بأن الظاهرة الاجراميه معقدة ولابد من ادخال عدة عوامل في تفسيرها (كالوراثة والبيئة) خاصة بالنسبة للمجرمين المحترفين العائدين . رغم انه لا يمكن ان نحدد مقدار اسهام كل عامل من العوامل المفضية الى السلوك الاجرامي بدقة كاملة .

وعلى هذا حاول انصار الاتجاه التكاملي اخذ جميع الابعاد الجسمية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والبيئية...الخ في الاعتبار عند تفسير وفهم السلوك الاجرامي . وقد اثبت (برت) بدراسة لـ (٢٠٠) جانح بوجود اكثر من (٦٠) عامل للجناح وتأكيد مبدأ تكامل العوامل المفضيه لظاهرة الانحراف كالعوامل البيولوجية والعقلية والدينية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية ... الخ .

عوامل السلوك الاجرامي

وهناك عدة طرق استخدمت لاثبات العلاقة بين الوراثة والسلوك الاجرامي وهي كما يأتي :

١ـ دراسة شجرة العائلة : تقوم هذه الدراسة على ملاحظة الاجرام بين افراد اسرة على مدى عدة اجيال ومقارنتها بعينة ضابطة تتمثل في اسرة اخرى لم يجرم افرادها . ومن اقدم الدراسات التي اجريت في هذا الخصوص الدراسة التي اجراها (دوجدال) بخصوص اسرة (جوك) الامريكية .

هذه الاسرة متمثلة بـ (جوك) مدمن خمر وزوجته لصة واحفاده من محترفي الدعارة والمتشردين والمصابين بأمراض عقلية والامراض التناسلية .ودراسة اخرى اجراها (جودار) عن اسرة (كاليكاك) الامريكية . حيث تزوج كاليكاك بامرأة منحرفة اخلاقيا رزق منها بطفل شاذ اجتماعيا وذريته شاذة و قد تزوج مرة اخرى بامرأة شريفة رزق منها بأبناء عاديين . ودراسة اخرى اجريت في سويسرا على ذرية يرمز لها بأسم مستعار (زيرو) فتبين ان اغلب افراد الذرية كانوا من مدمني الخمر والمتشردين والمجرمين والمتخلفين عقليا . ونفس هذه النتائج توصلت اليها دراسة لاسرة (فكتوريا) .

كما اجريت دراسات بخصوص اسر معروفة بالورع والاستقامة ، منها اسرة الواعظ (جوناثان ادواردز) التي لم ينحرف اي فرد من افرادها ، بل ان اغلبهم وصل الى مراكز كبيرة في امريكا . ان لدراسة شجرة العائلة اهميتها في بيان دور الوراثة في سلوك الافراد لكن يؤخذ عليها بأنها تنقصها الدقة للاسباب الاتيه :

أ ـ انها تجاهلت قوانين الوراثة ذاتها لانه كلما بعدنا عن الاصل وتعاقبت الاجيال ضعف دور هذ الاصل وتدخلت اصول اخرى اجنبية لها دور وراثي كدور الاصل ان لم يزد عنه .

ب ـ ان دراسة شجرة العائلة اهملت دور العوامل البيئية التي يعيش فيها افراد الاسرة وتأثيرها على السلوك الاجرامي .

ج ـ انها استندت الى حالات فردية ومختارة واستخلصت منها قانونا عاما . وهذا غير صحيح وذلك لان المنهج التجريبي العلمي يقتضي دراسة عدد كبير من الحالات على اسس علمية وليس بطريقة تحكمية .

د ـ لو كانت الصفات الوراثية تنقل وراثة لما ارسل الله تعالى الانبياء والمرسلين لاصلاح البشر ، اذ ما نقل وراثة ، لايمكن ان يغير بفعل الا الوراثة وهذا امر محال ، والحقيقة ان السلوك الانساني لا يورث لانه يدور بين الخير والشر والمسائل الروحانية لا علاقة لها بالوراثه .

٢ـ الدراسة الاحصائية لاسر المجرمين : هذه الدراسة تبحث في حالات متعددة وغير منتقاة كما تمتد لتشمل بجانب الفروع جميع اقرباء المجرم كأبناء العم والعمة وابناء الخال والخالة . وتتم الدراسة بأحد اسلوبين :

أ ـ اختيار عدد من المجرمين ثم البحث فيما اذا كان لدى اسلافهم او اقربائهم عيوب وراثية .

ب ـ اختيار عدد من الشواذ ثم بحث مدى تكرار الجريمة بين خلفهم واقربائهم . ويقصد بالعيوب الوراثية ظهور الامراض العقلية والنفسية وبعض الامراض المعدية وادمان الكحول والمسكرات وتكرار الاجرام بين الاقرباء.

٣ـ دراسة التوائم : ظهرت هذه الدراسة لتفادي الانتقادات الموجهة للدراسات السابقة فساهمت في بيان دور التكوين الفطري وبالتالي دور الوراثة المهيء للسلوك الاجرامي . والتوائم هم الابناء الذين يجمعهم حمل واحد ووضع واحد وهم نوعان :

أ ـ توائم متماثلون او متطابقون : هؤلاء ينشؤون عن بويضة واحدة لقحها حيوان منوي واحد يكونون متساوون في خصائصهم الوراثية ومتشابهين في ملامحهم الخارجية والخصائص النفسية العضوية سواء كانت تلك الخصائص طبيعية ام مرضية .

ب ـ توائم غير متماثلين او غير متطابقين : هؤلاء ينشؤون عن اكثر من بويضة واحدة . لايصل التشابه بينهم الى درجة التشابه في النوع الاول فهم لا يختلفون عن بقية الاخوة والاخوات الاكبر او الاصغر منهم سنا .

تقوم هذه الدراسة على اساس التميز بين التوائم المتطابقة من ناحية والتوائم غير المتطابقه من ناحية اخرى وفي نطاق كل فئة تتم مقارنة سلوك كل الزواج من التوائم .

فبالنسبة للتوائم المتماثلة اذا كان احدهما لديه ميل او استعداد اجراي فلابد ان يتوافر هذا الاستعداد لدى الاخر ، فأن ثبت ان اجرامهما متماثل ثبتت انتقال الميل الاجرامي بالوراثة من السلف الى الخلف .

اما اذا اختلف اجرامهما فذلك يعني انعدام الصلة بين الوراثة والاجرام .

تقييم الدراسة : على الرغم من النتائج التي توصلت اليها دراسة التوائم في مجال السلوك الاجرامي ، فانها انتقدت من النواحي الاتية :

أ ـ اعتمدت الدراسة على حالات قليلة ومنتقاة ، مما يخالف اسلوب الاحصاء العلمي السليم الذي يتطلب الرجوع الى عدد كبير من الحالات المختارة على اساس علمي .

ب ـ تصنيف التوائم امر مشكوك فيه ، اذ من الصعب تحديد ما اذا كان التوائم ناتجين عن بويضة واحدة او اكثر من بويضة .

ج ـ اثبتت الدراسات عدم التوافق التام في المسلك الاجرامي بين التوائم المتماثلة وعلى اساس ذلك فليس من الصحيح القول بان الوراثة العامل الوحيد في ظاهرة الاجرام ، وانما لابد من ان تتفاعل معها عوامل اخرى بيئية وغير بيئية لانتاج هذه الظاهرة .